

لِقَاءِ رَبِّهِمْ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَلْيَأْتُوا رَبَّهُمْ حَنِينًا

﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وقد فسرنا اللقاء، أو اقم كان يخاف سوء لقائه.

والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة أن لا يراي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يخلط به غيره، وقيل: نزلت في جندب بن زهير، قال للنبي ﷺ: إني أعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرتني فقال: «إن الله لا يقبل ما شورك فيه»⁽⁴⁾. وروي أنه قال: «لك أجران أجر السر وأجر العلانية»⁽⁵⁾. وذلك إذا قصد أن يقتدى به، وعنه ﷺ: «اتقوا الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»⁽⁶⁾.

وعن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء»⁽⁷⁾. وعنه ﷺ: «من قرأ عند مضجعه ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ كان له من مضجعه نوراً يتلألا إلى مكة، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم، وإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألا من مضجعه إلى البيت المعمور، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ»⁽⁸⁾، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم مكية

كَهَيْعَةٍ ۝ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدًا زَكِيًّا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَوْفًا ۝

﴿كهيعص﴾ قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة، وبكسرهما عاصم. وبضمهما الحسن، وقرأ الحسن: نكر رحمة ربك أي: هذا المتلو من القرآن نكر رحمة ربك، وقرئ: نكر على الأمر. راعى سنة الله في إخفاء دعوته؛ لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان، فكان الإخفاء أولى؛ لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص. وعن الحسن: نداء لا رياء فيه، وإخفاء لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرية والشيوخوخة، أو أسره من مواليه الذين خافهم، أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ: صوته خفات وسمعه تارات، واختلف في سن زكريا عليه السلام،

﴿ضل سعيهم﴾ ضاع وبطل وهم: الرهبان، عن علي رضي الله عنه كقوله: «عاملة ناصبة»⁽¹⁾ وعن مجاهد: أهل الكتاب، وعن علي رضي الله عنه: أن ابن الكوا ساله عنهم فقال: منهم أهل حروراء، وعن أبي سعيد الخدري: يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تنزن شيئاً ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ فيزدرى بهم، ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار، وقيل: لا يقام لهم ميزان؛ لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين، وقرئ: فلا يقيم بالياء.

فإن قلت: الذين ضل سعيهم في أي محل هو؟ قلت: الأوجه أن يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم؛ لأنه جواب عن السؤال، ويجوز أن يكون نصباً على الذم أو جراً على البديل ﴿جهنم﴾ عطف بيان لقوله جزأؤهم.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْإِرْدِينَ نُزُلًا ۝ خَلِيلِينَ مِمَّا لَا يَتَّخُونَ عَنَاءًا جُولًا ۝ قُلْ لَوْ كَانُ الْبَيْتُ وَمَدَاكُ لِكَلْبَتِ رَبِّي لَتَنَادَى الْبَيْتُ قَبْلَ أَنْ نَقْدُ كَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِبَيِّنَاتٍ مَدًّا ۝

الدول: التحول. يقال: التحول: حال من مكانه حولاً كقولك: عانني حبها عوداً يعني: لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم إلى اجمع لأغراضهم وأمانهم وهذه غاية الوصف؛ لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامع الطرف إلى أرفع منه؛ ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود.

المداد: اسم ما تمد به النواة من الحبر، وما يمد به السراج من السليط، ويقال: السمد ماداد الأرض، والمعنى: لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر: الجنس ﴿لنند البحر قبل أن تنفذ﴾ الكلمات ﴿ولو جئنا﴾ بمثل البحر مداداً لنند أيضاً والكلمات غير نافذة و ﴿مدداً﴾ تمييز كقولك: لي مثله رجلاً، والمدد مثل المدد وهو: ما يمد به، وعن ابن عباس رضي الله عنه: بمثله مداداً وقرأ الأعرج: مدداً بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به، وقرئ: ينفذ بالياء، وقيل: قال حيي بن أخطب في كتابكم: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾⁽²⁾ ثم تقرر: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾⁽³⁾ فنزلت يعني: أن تلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ رَبُّدُّ فَتَنَ كَانَ رَبُّرًا

(1) سورة الغاشية، الآية: 3.

(2) سورة البقرة، الآية: 269.

(3) سورة الإسراء، الآية: 85.

(4) نكره الواحدي في أسباب النزول ص 170.

(5) رواه ابن حبان في كتاب: البر والإحسان، باب: ما جاء في الطاعات ونوابها (الحديث رقم: 375) والترمذي في كتاب: الزهد، باب: عمل =

= السر (الحديث رقم: 2384).

(6) رواه أحمد في مسنده 428/5، والبيهقي في الشعب، باب: في إخلاص العمل لله تعالى وترك الرياء (الحديث رقم: 6831).

(7) رواه أحمد في مسنده 439/3.

(8) كشف الاستار، كتاب: الإنكار، باب ما يقرأ في الليل، (الحديث رقم: 3108).

تعالى وصارًا من عنده، وإلا فهب لي وليًا يرثني كاف، أو
أراد اختراعًا منك بلا سبب لأنني وامراتي لا نصلح للولادة.

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي مَالُ يَعْقُوبَ وَأَحْمَكُهُ رَبِّي رَضِيًا ٦

يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ﴿رَدَاءٌ يَصِدُقُنِي﴾⁽¹⁾. وعن ابن عباس والجحدري: يرثني وارث آل يعقوب نصب على الحال. وعن الجحدري، أو يرث على تصغير وارث، وقال: غليم صغير. وعن علي رضي الله عنه وجماعة: وارث من آل يعقوب أي: يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان. والمراد بالإرث: إرث الشرع والعلم؛ لأنَّ الأتبياء لا تورث المال، وقيل: يرثني الحبوبة وكان حبرًا، ويرث من آل يعقوب الملك. ويقال: ورثته وورثت منه لغتان. وقيل: من للتبعيض لا للتعمية؛ لأنَّ آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء، وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق. وقيل: هو يعقوب بن ماتان أخو زكريا. وقيل: يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود.

يَرْكَبُ رَأْسًا إِنَّا نَسْتَرْكِبُ بِئْسَ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَمْ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧

سَمِيًّا لم يسم أحد يحيى قبله، وهذا شاهد على أنَّ الاسامي السنع جدية بالاثرة، وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها اتبه واثوه وانزه عن النبر، حتى قال القائل في مدح قوم:

سنح الاسامي مسبلي أزر حمرتمس الأرض بالهلب
وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سألته عن نسبه: أنا ابن العجاج. فقال: قصرت وعرفت. وقيل: مثلًا وشبيهًا عن مجاهد كقوله: ﴿هل تعلم له سَمِيًّا﴾⁽²⁾. وإنما قيل للمثل سمي؛ لأنَّ كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه. ونحو يحيى في أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية، وقد سموا بيموت أيضًا وهو: يموت ابن المزرع قال: لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط، وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر، وأنه كان حصورًا أي: كانت علي صفة العقر حين أنا شاب وكهل، فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين. أفحين اختل السببان جميعًا أرزقه!

قَالَ رَبِّي أَنِّي يَكُونُ لِي عُذْمٌ وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨

فإن قلت:⁽³⁾ لم طلب أولًا وهو وامراته على صفة العتي

فقيل: ستون، وخمس وستون، وسبعون وخمس وسبعون، وخمس وثمانون.

قَالَ رَبِّي إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّي شُعِيًّا ٩

قوى: ﴿وهن﴾ بالحركات الثلاث وإنما نكر العظم؛ لأنه عمود البدن وبه قوامه، وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصدًا إلى معنى آخر، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها. إدغام السين في الشين عن أبي عمرو. شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر، وفشوه فيه وأخذه منه كل ماخذ باشتعال النار، ثم أخرج مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو: الرأس وأخرج الشيب مميّزًا، ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة. توسل إلى الله بما سلف له معه من الاستجابة. وعن بعضهم: أن محتاجًا سألته وقال: أنا الذي أحسنت إلى وقت كذا، فقال: مرحبًا بمن توسل بنا إليك، وقضى حاجته.

وَأِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ رَوْحِهِ وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ١٠

كان مواليه وهم عصبته: إخوته وبنو عمه شرار بني إسرائيل، فخافهم على الدين أن يغيروه ويبطلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته، فطلب عقبًا من صلبه صالحًا يقتدي به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه ﴿من وراثي﴾ بعد موتي، وقرأ ابن كثير: من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحنوف، أو بمعنى الولاية في الموالي أي: خفت فعل الموالي وهو: تبديلهم وسوى خلافتهم من وراثي، أو خفت الذين يلون الأمر من وراثي، وقرأ عثمان، ومحمد بن علي، وعلي بن الحسين رضي الله عنهم: خفت الموالي من وراثي، وهذا على معنيين: أحدهما يكون وراثي بمعنى: خلفي وبعدي، فيتعلق الظرف بالموالي أي: قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه. والثاني: أن يكون بمعنى: قدامي فيتعلق بخفت، ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد ﴿من لَدُنْكَ﴾ تأكيد لكونه وليًا مرضيًا بكونه مضافًا إلى الله

(1) سورة القصص، الآية: 34.

(2) سورة مريم، الآية: 65.

(3) قال أحمد: وفيما أجاب به نظر؛ لأنه التزم أن زكريا استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه، ولا يجوز للنبى النطق بما لا يسوغ، لمثل هذه الفائدة التي عينها الرمزخشري، ويمكن حصولها بونه.

= فالظاهر في الجواب، والله أعلم، أن طلب زكريا إنما كانت ولدًا من حيث الجملة، وبحسب ذلك أحيب، وليس في الإجابة ما يدل على أنه يولد له وهو هرم، ولا أنه من زوجته وهي عاقر، فاحتمل عنده أن يكون الموعود وهما بهذه الحالة، واحتمل أن تعادلهما قوتها وشبهاهما، كما فعل الله ذلك لغيرهما، أو أن يكون من غير زوجته =

وبالرحمة: الشرائع والألطف، وما كان سبباً في قوّة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين. عن ابن عباس: فاطمات إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت، وقيل: كانت مدّة الحمل ستة أشهر، وعن عطاء، وأبي العالية، والضحاك: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية، ولم يعيش مولود وضع لثمانية إلا عيسى، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وعن ابن عباس: كانت مدّة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبيته، وقيل: حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة، وقيل: بنت عشر، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل، وقالوا: ما من مولود إلا يستهلّ غيره ﴿فانقبذت به﴾ أي: اعتزلت وهو في بطنها كقوله:

تدوس بنا الجمجم والتريبا

أي: تدوس الجمجم ونحن على ظهورها. ونحوه قوله تعالى: ﴿تنبت بالدهن﴾⁽⁷⁾ أي: تنبت ودهنها فيها، الجار والمجرور في موضع الحال ﴿قصباً﴾ بعيداً من أهلها وراء الجبل. وقيل: أقصى الدار، وقيل: كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف، فلما قيل: حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك، فهرب بها، فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها، فاتاه جبريل فقال: إنه من روح القدس فلا تقتلها، فتركها.

فَأَمَّا مَا أَلْحَاشُ إِلَىٰ يَنْعُ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلْتَنِي بِهِ قَبْلَ هَذَا
وَكُنْتُ نَسِيًا مَّنِيئًا ﴿٣٣﴾

﴿فاجاءها﴾ آجاء منقول من جاء إلا أن استعمله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، ألا تراك لا تقول: جئت المكان، واجاءنيه زيد، كما نقول: بلغته وأبلغنيه، ونظيره: آتي حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء، ولم تقل: آتيت المكان وأتانيه فلان. قرأ ابن كثير في رواية ﴿المخاض﴾ بالكسر يقال: مخضت الحامل مخاضاً ومخاضاً وهو: تمخض الولد في بطنها. طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء، والتعريف لا يخلو: أمّا أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة، كتعريف النجم والصق، كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل: جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جنوع النخل. وأمّا: أن يكون تعريف الجنس أي: جذع هذه الشجرة خاصة، كان الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها؛ ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد،

ودلّ على عفانها وورعها أنها تعوّنت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبراً لغفتها. وقيل: كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها، فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك، وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه: يوسف من خدم بيت المقدس. وقيل: إن النصراني اتخذت المشرق قبلة لانتباز مريم مكاناً شرقياً. الروح جبريل؛ لأنّ الدين يحيا به وبوحيه، أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريباً كما تقول لحبيبيك: أنت روحي، وقرأ أبو حيوة: روحنا بالفتح؛ لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند الله الذي هو عدّة المقربين في قوله: ﴿فأمّا إن كان من المقربين فروح وريحان﴾⁽¹⁾ أو لأنه من المقربين وهم الموعوبون بالروح أي: مقرّبنا وذا روحنا. أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عاتذة به منك كقوله تعالى: ﴿بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾⁽²⁾. أي: إنما أنا رسول من استعذت به ﴿لاهب لك﴾ لاكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع، وفي بعض المصاحف: إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك، أو هي حكاية لقول الله تعالى: جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال؛ لأنه كناية عنه كقوله تعالى: ﴿من قبل أن تمسوهن﴾⁽³⁾ ﴿أو لمستمن النساء﴾⁽⁴⁾ والزنا ليس كذلك إنما يقال فيه: فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنایات والأدب، والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال، وهي فعول عند المبرّد: بغوي فادغمت الواو في الياء، وقال ابن جني في كتاب التمام: هي فعيل ولو كانت فعولاً لقيل بغو، كما قيل: فلان نهو عن المنكر ﴿ولنجعله﴾ آية تعليل معللة محنوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمّر أي: لنبين به قدرتنا ولنجعله آية، ونحوه: ﴿وخلف الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾⁽⁵⁾ وقوله: ﴿وكذلك مكننا ليوسف في الأرض﴾⁽⁶⁾ ولنعلمه.

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْبَةٍ وَلِنَجْمَلَهُ نَائِيَةً لِلنَّاسِ
وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٣٤﴾ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَأَنْبَدَتْ بِهِ
مَكَانًا قَيْسِيًّا ﴿٣٥﴾

﴿مقضيّاً﴾ مقدراً مسطوراً في اللوح لابد لك من جريه عليك، أو كان أمراً حقيقاً بان يكون ويقضي لكونه آية رحمة، والمراد بالأية: العبرة والبرهان على قدرة الله،

(1) سورة الواقعة، الآيات: 88 و 89.

(2) سورة هود، الآية: 86.

(3) سورة البقرة، الآية: 237.

(4) سورة النساء، الآية: 43.

(5) سورة الجاثية، الآية: 22.

(6) سورة يوسف، الآية: 56.

(7) سورة المؤمنون، الآية: 20.

وقرفوها به بمعزل، وأن لها أموراً إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا، حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس بيدع من شأنها.

وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ يَمْحُجُ النَّخْلَةَ سَوَّيْتَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ﴿١٥﴾ فَكَلَىٰ وَأَسْرَفِي وَفَرَىٰ عَيْنًا فِيمَا تَرَىٰ مِنَ الْبَشَرِ أَمَدًا فَمَقُولُ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿١٦﴾.

﴿تساقط﴾ فيه تسع قرأت: تساقط بإدغام التام، وتساقط بإظهار التاءين، وتساقط بطرح الثانية، ويساقط بالياء وإدغام التاء، وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط، التاء للنخلة والياء للجدع، ورطباً تمييز، أو مفعول على حسب القراءة، وعن المبرد: جواز انتصابه بهزي وليس بذاك، والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾⁽⁴⁾ أو على معنى: افعلني الهز به كقوله: يحرح في عراقها نصلي، قالوا: التمر للنفساء عادة من نك الوقت، وكذلك التحنيك، وقالوا: كان من العجوة، وقيل: ما للنفساء خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل. وقيل: إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب. عن طلحة بن سليمان **﴿جنيناً﴾** بكسر الجيم للاتباع أي: جمعنا لك في السري والرطب فائنتين: إحداهما الأكل والشرب، والثانية: سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله: **﴿فكلى واشربي وقري عيناً﴾** أي: وطيب نفسي ولا تغتمي، وارفضي عنك ما أحزنك وأهملك. وقري: **﴿وقري﴾** بالكسر لغة نجد **﴿فإما ترين﴾** بالهمز، ابن الرومي. عن أبي عمرو: وهذا من لغة من يقول: ليات بالحج: وحلات السويق، وذلك لتأخ بين الهمز وحرف اللين في الإبدال **﴿صوماً﴾** صمماً، وفي مصحف عبد الله: صمماً، وعن أنس بن مالك مثله، وقيل: صياماً، إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صوم الصمت⁽⁵⁾؛ لأنه نسخ في أمته، أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام المعنيين أحدهما: أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبيري به ساحتها، والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم، وفيه أن السكوت عن السفية واجب، ومن أذل الناس سفية لم يجد مساقفها، قيل: أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة، وقيل: سوغ لها بالنطق **﴿إنسيّاً﴾** أي: أكلم الملائكة نون الإنس.

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلًا قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿١٧﴾ يَتَّخَذُ هُزُوًّا مِمَّا كَانُ أَكْبَرُ إِمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيِّنًا ﴿١٨﴾.

الفري: البديع وهو من فرى الجلد **﴿يا لخت هرون﴾** كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل وقيل: هو: أخوه

وثمارها إنما هي من جمارها، فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وأجأها إليها. قري: **﴿مت﴾** بالكسر، يقال: مات يموت ومات يمات.

النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن ينبج في قوله تعالى: **﴿وفديناه ينبج عظيم﴾**⁽¹⁾ وعن يونس: العرب إذ ارتحلوا عن الدار قالوا: انظروا أنساءكم أي: الشيء اليسير نحو العصا والقدرح والشظاظ، تمتت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه، وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية، لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها إذا بهتوها، وهي عارفة ببراءة الساحة وبيضا ما قرفت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام؛ لأنه مقام نحض قلما تثبت عليه الأقدام، أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيباً يعاب به ويعنف بسببه، أو لخونها على الناس أن يعصوا الله بسببها، وقراً: ابن وثاب، والأعمش، وحمزة، وحفص: نسيّاً بالفتح. قال الفراء: هما لغتان كالوتر والجسر والجسر، ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل، وقراً محمد بن كعب القرظي: نسا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته وقراً الأعمش: منسيّاً بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر.

فَأَدْبَاهَا مِن تَحْمِيْلٍ أَلَّا تَحْمِيْلٍ قَدِ جَمَلُ رَبِّكَ تَحْمِيْلٌ سَرِيًّا ﴿١٩﴾.

﴿من تحتها﴾ هو: جبريل عليه السلام قيل: كان يقبل الولد كالقابلة، وقيل: هو عيسى وهي: قراءة عاصم وأبي عمرو، وقيل: تحتها أسفل من مكانها كقوله: **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾**⁽²⁾ وقيل: كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها: لا تحزني وقراً نافع، وحمزة، والكسائي؛ وحفص: من تحتها وفي نادها ضمير الملك أو عيسى، وعن قتادة: الضمير في تحتها للنخلة، وقراً زر وعلقمة: فخطبها من تحتها. سئل النبي ﷺ عن السري فقال: «هو الجدول»⁽³⁾. وقال لبيد:

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجارزاً قلامها
وقيل: هو من السرور والمراد عيسى، وعن الحسن: كان والله عبداً سرياً.

فإن قلت: ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلي بالسري والرطب؟ قلت: لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب ولكن من حيث إنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة، وأن مثلها مما

(1) سورة الصفات، الآية: 107.

(2) سورة البقرة، الآية: 25.

(3) رواه الحاكم في المستدرک 2/ 273.

(4) سورة البقرة، الآية: 195.

(5) تقدم عن أبي داود في سورة النساء.

بالصلاة وكلفنيها واحد ﴿والسلام علي﴾ قيل: أدخل لام التعريف لتعرفه بالذکر قبله كقولك: جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا، والمعنى: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلي، والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعادتها من اليهود، وتحقيقه أن اللام للجنس فإذا قال: وجنس السلام علي خاصة، فقد عرض بأن ضده عليكم. وتظيره قوله تعالى: ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ (٣) يعني: أن العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام منكرة وعاد فهو مثنة لنحو هذا من التعريض.

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقَّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْجِدَ مِنْ وِلْدِهِ سِحْحَةً إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾

قرأ عاصم وابن عامر ﴿قول الحق﴾ بالنصب، وعن ابن مسعود: قال الحق، وقال الله، وعن الحسن: قول الحق بضم القاف وكذلك في الأنعام ﴿قوله الحق﴾ (٤) والقول والقال والقول بمعنى واحد: كالرهب والرهب والرهب، وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر، أو بدل، أو خبر مبتدأ محذوف، وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله، وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الثبات والصدق كقولك: هو عبد الله حقاً والحق لا الباطل، وإنما قيل لعيسى: كلمة الله ﴿قول الحق﴾ لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها: وهي قوله: كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء، والشحم بالشحم بالنداء، ويحتمل: إذا أريد بقول الحق عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل، وأن يكون بمعنى: الثبات والصدق ويعضده قوله: ﴿الذي فيه يمترون﴾ أي أمره حق يقين وهم فيه شاكون ﴿يمترون﴾ يشكون والرمية: الشك، أو يمارون: يتلاحون، قالت اليهود: ساحر كذاب، وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تمترون على الخطاب، وعن أبي بن كعب: قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون. كذب النصارى، وبكتهم بالدلالة على إنتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول ولي بمقدور عليه، إذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد، ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئاً من الأجناس كلها أوجده: يكن، كان منزهاً من شبه الحيوان الوالد. والقول ههنا مجاز ومعناه، أن إرادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف، فشبّه ذلك بأمر الأمر المطاع إذا ورد على العامور المتمثل.

وَلِئَلَّا اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكَ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾

موسى صلوات الله عليهما، وعن النبي ﷺ: «إنما عنوا هرون النبي، وكانت من أعقابها في طبقة الإخوة، بينها وبينه ألف سنة وأكثره. وعن السدي: كانت من أولاده، وإنما قيل: يا أخت هرون (١) كما يقال: يا أخا همدان أي: يا واحداً منهم، وقيل: رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها، أي: كنت عندنا مثله في الصلاح، أو شتموها به، ولم ترد إخوة النسب. نكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفاً كلهم يسمى هرون تبركاً به وباسمه، فقالوا: كنا نشبهك بهرون هذا. وقرأ عمر بن لجا التيمي: ﴿ها كان لباك امرؤ سوء﴾ وقيل: احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار فلبثوا فيه أربعين يوماً حتى تعلت من نفاسها، ثم جاءت تحمله فكلما عيسى في الطريق، فقال: يا أمه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما نخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكبوا وقالوا ذلك، وقيل: هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها.

فَأَشَارَتْ إِلَيْهَا قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَهْدِ صَبِيًّا ﴿٣٧﴾

﴿فأشارت إليه﴾ أي: هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه، وقيل: كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام. وعن السدي: لما أشارت إليه غضبوا وقالوا: لسخريتها بنا أشد علينا من زناها. وروي: أنه كان يرضع، فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته، وقيل: كلهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان ﴿كان﴾ لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده، وهو ههنا: لقريبه خاصة، والدال عليه مبنى الكلام وأنه مسوق للتعجب، ووجه آخر: أن يكون نكلم حكاية حال ماضية أي: كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيّاً في المهد فيما سلف من الزمان حتى تكلم هذا.

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَبَعَلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ نَارًا أَنِ مَا كُنْتُ وَالْمَوْتِ بِالْأَصْلَةِ وَالْكَرْمِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣٨﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا سَعِيًّا ﴿٣٩﴾ وَأَسَلْتُكَ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٤٠﴾

أنطقه الله أولاً بأنه عبد الله رداً لقول النصارى و ﴿الكتاب﴾ هو الإنجيل. واختلفوا في نبوته، فقيل: أعطياها في طفوليته، أكمل الله عقله واستتبها طفلاً نظراً في ظاهر الآية، وقيل معناه: إن ذلك سبق في قضائه، أو جعل الآتي لا محالة كأنه قد وجد ﴿مباركاً أينما كنت﴾ عن رسول الله ﷺ: «نفاعاً حيث كنت»، (٢). وقيل: معلماً للخير. وقرئ: ﴿وميزاً﴾ عن أبي نهيك: جعل ذاته براً لفرط بره، أو نصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلفني؛ لأن أوصاني

(2) رواه أبو نعيم في الحلية: 25/3.

(3) سورة طه، الآية: 47.

(4) سورة الأنعام، الآية: 73.

(1) رواه مسلم في كتاب: الآداب باب: النهي لتكني بابي القلم وبيان

ما يستحب من الأسماء (للحديث رقم: 5563) والترمذي في كتاب:

تفسير القرآن باب: ومن سورة مريم (للحديث رقم: 3155).

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
يَتَّبِعْ لِمَ يُعْبَدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾.

الصديق: من أبنية المبالغة، ونظيره: الضحيك، والنطيق، والمراد: فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله، وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل أي: كان مصدقاً بجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبياً في نفسه كقوله تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَلَّى الْمُرْسَلِينَ﴾ (٤) وكان بليغاً في الصدق. لأن ملاك أمر النبوة الصدق، ومصنق الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك، وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله أعني: إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ نحو قولك، رأيت زيداً، ونعم الرجل أخاك، ويجوز أن يتعلق إذ بكان، أو بصديقاً نبياً أي: كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات، والمراد بنكر الرسول إياه وقصته في الكتاب: أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله: ﴿وَاتل عَلَيْهِمْ نَبأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٤) وإلا فانه عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيهه، التاء في ﴿يَا أَيُّهَا﴾ عوض من ياء الإضافة، ولا يقال يا أبتي لثلاثا يجمع بين العوض والمعوّض منه. وقيل: يا أبنا لكون الألف بدلاً من الياء، وشبه ذلك سيبويه: بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة. انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه، من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللفظ والرفق واللين والأب الجميل والخلق الحسن، منتصفاً في ذلك بنصيحة ربه عزّ وعلا، حتّى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام إنك خليلي، حسن خلقك ولو مع الكفار، تدخل مداخل الأبرار، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه، أظله تحت عرشى، وأسكنه حظيرة القدس، وأدنيه من جوارى» (٥). وذلك أنه طلب منه أولاً: العلة في خطئه طلب منه على تمانيه موقظ لإفراطه وتناهيه؛ لأنّ المعبود لو كان حياً مميّزاً سمياً بصيراً مقتدرًا على الثواب والعقاب نافعاً ضاراً إلا أنه بعض الخلق، لاستخفّ عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية، ولسجل عليه بالغبي المبين والظلم العظيم وإن كان أشرف الخلق وأعلام منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٦) وذلك أنّ العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق

وقرأ المدنيون، وأبو عمرو: بفتح أن ومعناه: ولأنه ربي وربيكم فاعوده، كقوله: ﴿وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَشَاءَ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١) والأستار، وأبو عبيد: بالكسر على الابتداء، وفي حرف أبي: إنّ الله بالكسر بغير واو، ويأنّ الله أي: بسبب ذلك فاعبده.

فَاتَّخَفَّ الْأَعْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوِيلًا لَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ شَهْدِ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿٤٧﴾.

﴿الأحزاب﴾ اليهود والنصارى. عن الكلبي، وقيل: النصارى لتحزيبهم ثلاث فرق، نسطورية ويعقوبية وملكانية، وعن الحسن الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ أي: من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة. أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف، أو من وقت الشهود، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم، وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء والسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال، أو من مكان الشهادة، أو وقتها، وقيل: هو ما قالوه وشهدا به في عيسى وأمه.

أَتَتْهُ يَوْمَ وَأَبْصِرَ يَوْمَ يَأْتُوتُنَّ لَكِنَّ الْفَالِقُونَ آيَوْمَ فِي صَلَواتِ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾
وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ أَنْزَرَهُمْ إِذْ قُتِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾.

لا يوصف الله تعالى بالتعجب وإنما المراد: أن أسمعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صماً وعمياً في الدنيا، وقيل معناه: التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم. أوقع الظاهر أعني: لظالمين موقع الضمير إشعاراً بأن لا ظلم أشدّ من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم، والمراد: بالضلال المبين: إغفال النظر والاستماع.

﴿قضى الأمر﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار. وعن النبي ﷺ أنه سئل عنه أي: عن قضاء الأمر فقال: «حين ينبج الكبش والفريقان ينظران» (٢). وإذ بدل من يوم الحسرة، أو منصوب بالحسرة ﴿وهم في غفلة﴾ متعلق بقوله: ﴿في ضلال مبين﴾، عن الحسن ﴿وانذرهم﴾ اعتراض، أو هو متعلق بأنذرهم أي: وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين. يحتمل أنه يميّتهم ويخرب بيارهم وأنه يفني أجسادهم، ويفني الأرض ويذهب بها.

(1) سورة الجن، الآية: 18.

(2) رواه البخاري في كتاب: التفسير من سورة مريم، باب: «وانذرهم يوم الحسرة» (الحديث رقم: 4730) ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعمها وأهلها، (الحديث رقم: 40 - 2849).

(3) سورة الصافات، الآية: 37.

(4) سورة الشعراء، الآية: 69.

(5) رواه الطبراني في الأوسط، والحكيم الترمذي في نوارير الأصول، (الزيليقي 326/2).

(6) سورة آل عمران، الآية: 80.

العظيم⁽¹⁾ ﴿فَكُنْكَ ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله لكبر من العذاب نفسه وأعظم، وصدر كل نصيحة من الناصح الأربع بقوله:

يا ابت توسلا إليه واستعطائاً

﴿ما في﴾ ﴿ما لا يسمع﴾ و﴿ما لم ياتك﴾ يجوز أن تكون: موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك:

ليس به استماع ولا إيصار

﴿شيئاً﴾ يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون في موضع المصدر أي: شيئاً من الغناء، ويجوز أن يقتر نحوه مع الفعلين السابقين، والثاني: أن يكون مفعولاً به من قولهم: أفنسى عني وجهك

﴿إني قد جئني من العلم ما لم ياتك﴾ فيه تجدد العلم عنده، لما أطلعه على سماجة صورة أمره، وهمد مذهبه بالحجج القاطعة، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاحظات. أقبل عليه الشيخ بفظاظ الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه، ولم يقابل يا ابت بيا بني: وقدم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ لأنه كان أهم عنده، وهو عنده أعني وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وإن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد، وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله ﷺ عما كان يلقي من مثل ذلك من كفر قومه

﴿لأرجمنك﴾ لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم، ومنه الرجيم المرمي باللعن، أو لأقتلنك من رجم الزاني، أو لأطرينك رمياً بالحجارة، وأصل الرجم الرمي بالرجام ﴿ملياً﴾ زماناً طويلاً من الملاوة أو ملياً بالذهاب عني والهجران قبل أن أتحنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح، يقال: فلان ملي بكذا إذا كان مطيقاً له مضطجعاً به.

فإن قُلت: علام عطف ﴿واهجرتني﴾؟ قُلت: على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي: فاحذرنى واهجرتني؛ لأن لأرجمنك تهديد وتقريع.

فَأَلَّ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأْتَفِئِرُ لَكَ رِجِّي إِنَّكَ كَاتِبٌ حَوِيًّا ﴿٤٧﴾

﴿قال سلام عليك﴾ سلام توديع ومشاركة كقوله تعالى: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾⁽³⁾ وهذا دليل على جواز مشاركة المنصوح والحال هذه، ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له، ألا ترى أنه وعده الاستغفار.

فإن قُلت: كيف جاز له أن يستغفر للكافر وإن يعده ذلك؟ قُلت: قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان، وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط

إلا لمن له غاية الإنعام وهو: الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها، فإذا وجهت إلى غيره وتعالى علواً كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيرة لم يكن إلا ظلاماً وعتواً وغياً وكفراً وجحوداً وخروجاً عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم، فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور: فلا يسمع يا عابده نكر له وثناءك عليه، ولا يرى هيأت خضوعك وخشوعك له، فضلاً أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه، أو تسنح لك حاجة فيكفيها.

يَأْتِي إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٨﴾

ثم ثنى: بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهل المفرد ولا نفسه بالعلم الغائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف، وهب أني وإياك في مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعني أتجك من أن تضل وتتيه.

يَأْتِي لَأَنْ تَعْبُدَ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَوِيًّا ﴿٤٩﴾

ثم ثلث: بتبليطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده، وهو: عبوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال، وعبو أبوك آدم وأبناء جنسك كلهم. هو: الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك، فانت إن حققت النظر عابد الشيطان، إلا أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الأخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم ينكر من جنائتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى نكر معاداته لآدم وذريته، كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه.

يَأْتِي إِيَّيْ أَحَافُ أَنْ يَسَّكَ عَذَابِي مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٥٠﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَبِنَ لَرُ تَنْتَهُ لَأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنَّيْ مَلِيًّا ﴿٥١﴾

ثم رابع: بتخويفه سوء العاقبة وبما يجزه ما هو فيه من التبعة والويل، ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لا حق له وأن العذاب لاصق به ولكنه قال: ﴿أخاف أن يمسه عذاب﴾ فنكر الخوف والمس ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان وبخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه، وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال: ﴿ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز

(3) سورة الفرقان، الآية: 63.

(1) سورة التوبة، الآية: 72.

(2) سورة القصص، الآية: 55.

دعوته ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (6) فصيره قدوة حتى أدعاه أهل الأديان كلهم، وقال عز وجل: ﴿مَلَأْنَا لِبَيْكُمُ الْإِبْرَاهِيمَ﴾ (7) و﴿مَلَأْنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (8) ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴿وَاعْطَىٰ نَذْرِيته فاعلى نكروهم واتنى عليهم كما اعلى نكروه واتنى عليه.

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَنَذَرْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَمِينًا ﴿٥٧﴾ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَسْمَاءَ هُرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٨﴾.

المخلص: بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله. وبالفتح الذي أخلصه الله. الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيشوع. الأيمن من اليمين أي: من ناحيته اليمنى، أو من اليمن صفة للطور أو للجانب، شبهه بمن قرّبه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك. وعن أبي العالية: قرّبه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ من أجل رحمتنا وترافنا عليه وهبنا له هرون، أو بعض رحمتنا كما في قوله: ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ (10) وأخاه على هذا الوجه بدل، وهرون عطف بيان، كقولك: رأيت رجلاً أخاك زيداً، أو كان هرون أكبر من موسى، فوقعت الهبة على معاضدته وموازته. كذا عن ابن عباس رضي الله عنه.

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٨﴾.

نكر إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد وإن كان ذلك موجوداً في غيره من الأنبياء تشريفاً له وإكراماً كالتلقيب بنحو الحلیم، والأواه، والصديق، ولأنه المشهور المتواصف من خصاله. عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة، وناهيك أنه وعد في نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ (11) كان يبدأ بأهله في الأمر بالصالح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس ﴿وانذر عشيرتک الأقربين﴾ (12) وأمر

الوضوء والنصاب، وقالوا: إنما استغفر له بقوله: ﴿واغفر لابي إنه كان من الضالين﴾ (1) لانه وعده أن يؤمن، واستشهدوا عليه بقوله تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ (2) ولقائل (3) أن يقول: إن الذي منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع، فأما القضية العقلية فلا تباها، فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل، والذي يدل على صحته قوله تعالى: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك﴾ (4) فلو كان شارطاً للإيمان لم يكن مستكراً أو مستثنى عما وجبت فيه الأسوة، وأما عن موعدة وعدها إياه، قالوا: عد هو إبراهيم لا أزر أي: ما قال: واغفر لأبي إلا عن قوله: لا استغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها إياه والله أعلم ﴿حقيقاً﴾ الحفي البليغ في البر والإلطف حفي به وتحفي به.

وَأَعَزَّلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَشِيَ آلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شُعْبًا ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا أَعَزَّتْكُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥٨﴾.

﴿واعزلكم﴾ أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام. المراد بالدعاء العبادة؛ لأنه منها ومن وسائطها، ومنه قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» (5). ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فلما اعززلهم وما يعبدون من دون الله﴾ ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء، عرّض بشقاوتهم بدعاء ألّهتهم في قوله: ﴿عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ مع التواضع لله بكلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه، فعوضه أولاداً مؤمنين أنبياء.

وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥٨﴾.

﴿من رحمتنا﴾ هي النبوة. عن الحسن، وعن الكلبي: المال والولد وتكون عامة في كل خير لبني وبنوي أوتوه. لسان الصدق: الثناء الحسن، وعبر باللسان عما يوجد باللسان، كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية. قال:

إني أنتني لسان لا أسر بها

يريد الرسالة، ولسان العرب لغتهم وكلامهم. استجاب الله

(1) سورة الشعراء، الآية: 86.

(2) سورة التوبة، الآية: 114.

(3) قال أحمد: وهذه لمظ من الاعتزال، مستطيرة من شر شرقي قاعدة التحسين والتقيح، والحق أن العقل لا مدخل له، في أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به، ثم لم يوف الزمخشري بها، فإنه جعل العقل يسوغ الاستغفار، وجعل الشرع مانعاً منه، ولا يتصور هذا على قاعدتهم المهذمة، كاملاً يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل في الإلهيات، نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه، وأما ما يظهر العقل خلافه، فلا.

(4) سورة الممتحنة، الآية: 4.

(5) رواه ابن حبان في كتاب: الرقائق، باب: الادعية، (الحديث رقم=

= (890) وأبو داود في كتاب: الصلاة، باب: الدعاء (الحديث رقم: 3247) وابن ماجه في كتاب: الدعاء باب فضل الدعاء.

(6) سورة الشعراء، الآية: 84.

(7) سورة الحج، الآية: 78.

(8) سورة النساء، الآية: 125.

(9) سورة النحل، الآية: 50.

(10) سورة مريم، الآية: 50.

(11) سورة الصفات، الآية: 102.

(12) سورة الشعراء، الآية: 214.

نوح، وإسماعيل من نرية إبراهيم وموسى وهارون وزكريا ويحيى من نرية إسرائيل، وكذلك عيسى لأن مريم من نريته **«وممن هدينا»** يحتمل العطف على من الأولى والثانية.

إن جعلت الذين خيراً لأولئك كان **«إذا قتلى»** كلاماً مستأنفاً، وإن جعلته صفة له كان خبراً. قرأ شبل بن عباد المكي: يتلى بالتكثير؛ لأن التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل. البكي جمع بك كالسجود والوقوف في جمع ساجد وقاعد. عن رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ: «اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا»⁽⁷⁾. وعن صالح المري رضي الله عنه: قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال في: «هذه القراءة يا صالح فإين البكاء؟»⁽⁸⁾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قرأت سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه، وعن رسول الله ﷺ: «إن القرآن أنزل بحزن فإذا قرأتموه فتحزنوا». وقالوا: يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بأيتها، فإن قرأ آية تنزيل السجدة قال: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، المسيحين بحملك، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك، وإن قرأ: سجدة سبحان قال: اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك. وإن قرأ هذه قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهنتين الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك.

﴿ خَلَفَ مِنْ بَيْنِمْ خَلْفَ أَصَاغُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴾ (٤٨) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُلْقَوْنَ فِيهَا شَيْئًا ﴿٤٩﴾.

خلفه إذا عقبه، ثم قيل: في عقب الخير خلف بالفتح، وفي عقب السوء خلف بالسكون، كما قالوا: وعد في ضمان الخير، ووعيد في ضمان الشر. عن ابن عباس رضي الله عنه: هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر، واستحلوا نكاح الأخت من الأب. وعن إبراهيم، ومجاهد رضي الله عنهما: أضعوها بالتأخير وينصر الأول، قوله: **«إلا من تاب وأمن»** يعني: الكفار. وعن علي رضي الله عنه في قوله: **«واتبعوا الشهوات»** من بني الشديد، وركب المنظور. ولبس المشهور، وعن قتادة رضي الله عنه: هو في هذه الأمة، وقرأ ابن مسعود، والحسن، والضحاك رضي الله عنهم: الصلوات بالجمع. كل شر عند العرب غي، وكل خير رشاد قال المرقش:

فمن يلق خيراً تحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً
وعن الزجاج: جزاء غي كقوله تعالى: **«يلق أثاماً»**⁽⁹⁾

أهلك بالصلاة⁽¹⁾ ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾⁽²⁾ إلا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالإحسان الديني أولى، وقيل: أهله أمته كلهم من القرابة، وغيرهم لأن أمم النبيين في عداد أهاليهم، وفيه أن من حق الصالح أن لا يالوا نصحاً للأجانب فضلاً عن الأقارب والمتصلين به، وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في شيء من ذلك.

وَأَذَكَّرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْتَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾.

قيل: سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل، وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح؛ لأنه لو كان أفعيلاً من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو: العلمية فكان منصرفاً، فامتناعه من الصرف لليل العجمة، وكذلك إبليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون، ولا يعقوب من العقب، ولا إسرائيل بأسرال، كما زعم ابن السكيت، ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات، ويجوز أن يكون معنى: إدريس في تلك اللغة قريباً من ذلك فحسبه الراوي مشتقاً من الدرس. المكان العلي: شرف النبوة والزلفى: عند الله. وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم النجوم، والحساب، وأول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه: إنه رفع إلى السماء الرابعة⁽³⁾. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إلى السماء السادسة⁽⁴⁾ وعن الحسن رضي الله عنه: إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة، وعن الثابت الجعدي: أنه لما أنشد عند رسول الله ﷺ الشعر الذي أخره:

بلغنا السماء مجبناً وسناؤنا وإنال لندرجو فرق تلك مظهرها
قال رسول الله ﷺ: «إلى أين يا أبا ليلى». قال: إلى الجنة⁽⁵⁾.

أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَابْتَدَأْنَا إِنَّا نُؤْتِلُ عَلَىٰ عَمَلِكُمْ ءَأَمِئَتُكُمْ يَوْمَ تَمُوتُونَ سَجْدًا كَرِيحًا ﴿٥٨﴾.

«أولئك» إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس عليه السلام. ومن في **«من النبيين»** للبيان مثله في قوله تعالى في آخر سورة الفتح: **«وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة»**⁽⁶⁾ لأن جميع الأنبياء منعم عليهم، ومن الثانية للتبعيض، وكان إدريس من نرية آدم لقربه منه؛ لأنه جد أبي نوح، وإبراهيم عليه السلام من نرية من حمل مع نوح؛ لأنه من نرية سام بن

(1) سورة طه، الآية: 132.

(2) سورة التحريم، الآية: 6.

(3) رواه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة مريم (الحديث رقم: 3157).

(4) رواه الطبري في تفسيره وابن مريويه، (الزليعي 2/328).

(5) رواه أبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة، (الزليعي 2/329).

(6) سورة الفتح، الآية: 29.

(7) رواه أبو يعلى في المسند (الحديث رقم: 689).

(8) رواه أبو نعيم في الحلية 6/196.

(9) سورة الفرقان، الآية: 68.

الوسطى المحمودة، ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير؛ لأن المتنعم عن العرب من وجد غداء وعشاء، وقيل: أراد دوام الرزق ودروره كما تقول: أنا عند فلان صباحاً ومساءً وبكرة وعشيماً يريد: الديمومة، ولا تقصد الوقتين المعلومين.

لَيْلَ الْبُرْجَةِ الَّتِي نُورٌ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ قَبِيحًا ﴿١٣﴾.

﴿نورث﴾ وقرئ: نورث استعارة أي: نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث، ولأن الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية: وهي الجنة، فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى، وقيل: أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا.

وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمْ مَّا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ شَيْئًا ﴿١٤﴾.

﴿وما ننزل﴾ حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطاه رسول الله ﷺ، وروي: أنه احتبس أربعين يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فلم يدر كيف يجيب، ورجا أن يوحى إليه فيه، فشق ذلك عليه مشقة شديدة، وقال المشركون: ودعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل عليه السلام قال له النبي ﷺ: «أبطأت حتى ساء ظني، واشتقت إليك». قال: إني كنت أشوق، ولكنني عبد مأمور، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست. وأنزل الله سبحانه هذه الآية، وسورة الضحى⁽⁵⁾، والتنزل على معنيين: معنى النزول على مهل، ومعنى النزول على الإطلاق كقوله:

فلست لأنسى ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب لأنه مطاوع نزل، ونزل يكون بمعنى: أنزل وبمعنى: التدرج، والثلاث بهذا الموضع هو: النزول على مهل، والمراد: أن نزلنا في الأحايين وقتاً غاب وقت ليس إلا بأمر الله وعلى ما يراه صواباً وحكمة وله ما قدمنا ﴿وما خلفنا﴾ من الجهات والأماكن ﴿وما بين ذلك﴾ وما نحن فيها، فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيتته، وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون، وما يحدث ويتجدد من الأحوال، لا يجوز عليه الغفلة والنسيان، فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا الإنز في، وقيل: ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة ﴿وما بين ذلك﴾ ما بين النفتين، وهو أربعون سنة، وقيل: ما

أي: مجازاة آثام، أو غياً عن طريق الجنة، وقيل: غي واد في جهنم تستعيز منه أوديتها. وقرأ الأخفش: يلقون: قرئ: يدخلون ويدخلون أي: لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم، ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بياناً؛ لأن تقدم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من ذلك من قولك: ما ظلمك أن تفعل كذا، ما منعك، أو لا يظلمون البتة أي: شيئاً من الظلم.

جَنَّتِ عَدْنُ الْأَقْيَ وَعَدَّ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُمُ بِالْأَيْبِ إِنْهُمْ كَانَ وَعَدُّهُمُ مَائِيًا ﴿١٥﴾.

لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبليت منها كقولك: أبصرت دارك القاعة والعلالي. وعدن معرفة علم بمعنى: العدن، وهو: الإقامة، كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه إعلاناً لمعاني الفينة والسحر والأمس فجرى مجرى العدن لذلك، أو هو علم الأرض الجنة لكونها مكان إقامة، ولولا ذلك لما ساغ الإبدال؛ لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصولة ولما ساغ وصفها بالتي. وقرئ: جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء أي؛ وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة، أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها، أو بتصديق الغيب والإيمان به. قيل في ﴿مَائِيًا﴾ مفعول بمعنى: فاعل؛ والوجه: أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها، أو هو من قولك أتى إليه إحساناً أي: كان وعده مفعولاً منجزاً.

لَا يَسْمَعُونَ نَبَأًا لَقَوْا إِلَّا سَلْمًا وَهُمْ يَرْفَعُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ﴿١٦﴾.

اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته، وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقانه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله سبحانه: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾⁽¹⁾، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين⁽²⁾ نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنيننا. أي: إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغواً فلا يسمعون لغواً⁽³⁾ إلا ذلك فهو من وادي قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتابب أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع، أو لأن معنى: السلام⁽⁴⁾ هو: الدعاء بالسلامة، ودار السلام هي: دار السلامة، وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام. من الناس من يأكل الوجبة، ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهزمين، ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة

(1) سورة الفرقان، الآية: 72.

(2) سورة القصص، الآية: 55.

(3) قال احمد: والفرق بين الوجهين، أنه جعل الفلول عيباً على سبيل التجيز بتأ، لنظني العيب بالكلي، كأنه يقول: إن كان فلول السيوف من قراع عيباً، فلأنهم نرو عيب، معناه: وإن لم يكن عيباً، فليس فيهم عيب البتة؛ لأنه لا شيء سوء هذا، فهو بعد هذا التجوز =

= والفرض، استثناء متصل.

(4) قال احمد: وهذا يجعله من المتصل على أصل الحقيقة، لا كالأول الناشئ عن المجاز، وفي هذا الباب بعد؛ لأنه يقتضي البت بان الجنة يسمع فيها لغو وفضول، وحاش لله، فلا غول فيها، ولا لغو. رواه ابن إسحاق في سيرته وأبو نعيم في الدلائل والتلخيص. والواحد في أسباب النزول ص 170.

وكانوا يقولون لأصنامهم: آلهة، والعزى إله، وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يسمى أحد الرحمن غيره، ووجه آخر: هل تعلم من سمي باسمه على الحق نون الباطل؛ لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية، وقيل: مثلاً وشبهها أي: إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها.

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَوَدَا مَا مِثُّ سَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا ﴿١٦﴾ أَوْ لَا يَدْكَرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا عَلَّمْتَهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿١٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَا ﴿١٨﴾

يحتمل أن يراد بالإنسان الجنس بأسره، وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة.

فإن قلت: لم جازت إرادة الأناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك؟ **قلت:** لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح إسناده إلى جميعهم كما يقولون: بنو فلان قتلوا فلاناً وإنما القاتل رجل منهم، قال الفرزدق:

فسيف بني عيس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
فقد أسند الضرب إلى بني عيس مع قوله: نبا بيدي
ورقاء، وهو: ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي.

فإن قلت: بم انتصب إذا وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام، لا تقول اليوم لزيد قائم؟ **قلت:** بفعل مضمرب يدل عليه المذكور.

فإن قلت⁽³⁾: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال، فكيف جمعت حرف الاستقبال؟ **قلت:** لم تجامعها إلا مخلصاً للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض وضمحل عنها معنى التعريف، وما في إذا ما للتوكيد أيضاً فكانهم قالوا: أحقاً أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك؟ على وجه الاستنكار والاستبعاد، والمراد: الخروج من الأرض، أو من حال الفناء، أو هو من قولهم خرج فلان عالماً وخرج شجاعاً، إذا كان نادراً في ذلك يريد: سأخرج حياً نادراً على سبيل الهزؤ، وقرأ الحسن وأبو حيو: لسوف أخرج، وعن طلحة بن مصرف رضي الله عنه: لسأخرج، كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ولسيعطيك وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكراً، ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك: للمسيء إل المحسن: أحيان تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه. الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة

مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها، وقيل: ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا، وقيل: الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا، والسماء التي ورائنا، وما بين السماء والأرض، والمعنى: أنه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال نرة، فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادراً عما توجهه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه. وقيل: معنى ﴿وما كان ربك نسياً﴾ وما كان تاركاً لك كقوله تعالى: ﴿وما يدعك ربك وما قلى﴾⁽¹⁾ أي: ما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به، وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوبيعه إليك، ولكن لتوقفه على المصلحة، وقيل: هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أي: وما ننزل الجنة إلا بان من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها، وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمتروكة والحاضرة، اللطيف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها، ثم قال الله تعالى تقريراً لقولهم: ما كان ربك نسياً لأعمال العاملين غافلاً عما يجب أن يثابوا به، وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والأرض وما بينهما.

ثم قال لرسوله ﷺ: فحين عرفته على هذه الصفة، فأقبل على العمل وابعده يثب كما أثاب غيرك من المتقين، وقرأ الأعرج رضي الله عنه: وما يتنزل بالياء: على الحكاية عن جبريل عليه السلام، والضمير للوحي، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: إلا بقول ربك. يجب أن يكون الخلاف في النسي مثله في البغي. وعلى هذا الوجه، يجوز أن يكون ﴿وما كان ربك نسياً﴾ من كلام المتقين، وما بعده من كلام رب العزة.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِحُكْمِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَيًّا ﴿١٥﴾

﴿رب السموات والأرض﴾ بدل من ربك، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: هو رب السموات والأرض **﴿فاعبده﴾** كقوله:

وقائلة خولان فانكح فتاتم

فإن قلت: هلا عدى **﴿اصطبر﴾** بعلی التي هي صلته كقوله تعالى: **﴿واصطبر عليها﴾** **قلت⁽²⁾:** لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب: اصطبر لقرنك، أي: أثبت له فيما يورد عليك من شدته، أريد: أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فأنبت لها ولا تهين، ولا يضييق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط، وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك. أي: لم يسم شيء بالله قط،

= لتلائم اللام؛ لأنه لو عكس هذا، للفت سوف، إذ لا معنى لها سوى الاستقبال، وأما اللام إذا جرئت من الحال، بقي لها التوكيد، فلم تلغ فتعين، والله أعلم.

(1) سورة الضحى، الآية: 3.

(2) سورة طه، الآية: 132.

(3) قال أحمد: والاعتقاد تناقض الحرفين منع الكوفيين اجتماعهما، وإنما جرئت اللام من معناها، لتلائم سوف نون أن تجرد سوف.

الكفرة مقرونين بالشياطين، فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة.

فَإِنْ قُلْتُمْ: هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء؟ **قُلْتُمْ:** لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر، وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم، فيزدابوا لذلك غبطة وسروراً إلى سرور ويشتموا بأعداء الله وأعدائهم، فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم.

فَإِنْ قُلْتُمْ: ما معنى إحضارهم جثياً؟ **قُلْتُمْ:** أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى: أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم، وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ (3) على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا وخلاف الطمانينة، أو لما يداهمهم من شدة الأمر التي لا يطبقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبواً، وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثياً حال مقدراً كما كانوا في الموقف متجاثين؛ لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب.

﴿مَنْ لَنَزَعَكُمْ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أُمَّةٌ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِيَابًا﴾ (١٨) ﴿مَنْ لَنَزَعَكُمْ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أُمَّةٌ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِيَابًا﴾ (١٨)

والمراد بالشيعة: وهي فعلة كفرقة وفتية، الطائفة التي شاعت أي: تبعت غاويًا من الغواة. قال الله تعالى: ﴿إِنْ

الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني (1): أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى، فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود، ثم أوقع التأليف مشحوناً بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذر على مثال واقتداء بمؤلف، ولكن اختراعاً وإبداعاً من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته، وأما الثانية: فقد تقدّمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحذرى عليه، وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردّها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ دليل على هذا المعنى، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (2) على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل، ولا يحتاج إلى احتذا على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس، ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعاً في بحر معانته وكشفاً عن صفحة جهله. القرآء كلهم على لا ينكر بالتشديد إلا نافعاً، وابن عامر، وعاصمًا رضي الله عنهم، فقد خففوا في حرف أبي يتنكر ﴿من قبل﴾ من قبل الحالة التي هو فيها وهي: حالة بقائه في إقسام الله تعالى باسمه تقدّست أسماؤه مضافاً إلى رسول الله ﷺ تفخّم لشان رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (3) ﴿والواو في ﴿والشياطين﴾ يجوز أن تكون للعطف وبمعنى: مع وهي بمعنى: مع أوقع، والمعنى: أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغوهم، قرن كل كافر مع شيطان في سلسلة.

فَإِنْ قُلْتُمْ: (4) هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة، فإن أريد الأناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين؟ **قُلْتُمْ:** إذا حشر جميع الناس حشراً واحداً وفيهم

النشأة الأولى التي هي إيجاد معدوم، فتنبه لبعد غوره، ولكن هرب من القطر فوقع تحت الميزاب، فهو والحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار، والله وليّ التوفيق. ومعنى تفريق الله تعالى بين النشأتين، أن الجاحد متهافت؛ لأنه اعترف بالأولى، وهي أصعب بالنسبة إلى قياس العقل، وأنكر الثانية، وهي أسهل وأهون؛ لأن ذلك راجع إلى قفرتة تعالى، فإن الكل، لدى قدرة الله تعالى، هين على سواء.

(2) سورة الروم، الآية: 27.

(3) سورة الذاريات، الآية: 23.

(4) قال أحمد: التبتت عليه إرادة العموم، وبينهما بون، ومن ثم خلت عبارته هذه عن التحرّز والصون، فصرح بأن الله تعالى أراد بالإنسان: العموم، ومعنى إرادة العموم: أن يريد الله تعالى نسبة كلمة الشك والكفر، إلى كل فرد من أفراد الإنسان، ومعاذ الله، وقد صرح الزمخشري بأن النطق بكلمة الشك بعض الجنس، ففي العبارة خلل كما ترى، والعبارة الصحيحة أن يقال: يحتمل أن يكون التعريف جنسياً، فيكون عهدياً، فيكون اللفظ من أول وهلة خاصاً، والله أعلم.

(5) سورة الجاثية، الآية: 28.

(1) قال أحمد: مذهب أهل السنة أن إعادة المعدوم جائزة عقلاً، ثم واقعة نقلاً، والمعتزلة وإن وافقت على ذلك، إلا أنها تزعم: أن المعدوم له ذات ثابتة في العدم، يقضي عليها بانها شيء، فليس عندهم عدم صرف، ونفي محض قبل الوجود، ولا بعده، فكانهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم، ولأنكروا إعادة المعدوم، كما إنكره القدماء، وعقيدة أهل السنة هي: المطابقة للأية؛ لأن النشأة الأولى لم يتقدّمها وجود، ولأن المنشأ ابتداء لم يكن شيئاً قبل ذلك، وأما النشأة الثانية، فقد تقدّمها وجود، وكان المنشأ قبلها شيئاً في زمان وجوده، ثم عدم ويطلت شبيثته، فظهر فرق ما بين النشأتين، كما نطق به القرآن، وأما المعتزلة، فإن قالوا: إن الأقسام يعدهما الله، ثم يوجداهما، فقد قالوا الحق، لكن لا يتم على أصلهم فرق بين النشأتين؛ لأن المعدوم فيهما كان شيئاً قبل النشأة، فإن قالوا: لا تنعدم الأقسام، وإنما تتفرّق ثم تجمع، كما صرح به الزمخشري؛ لأنه تظن لأن القول بأن الأقسام تنعدم، ثم يوجداهما الله تعالى، مع القول بأن المعدوم شيء يبطل الفرق بين النشأتين، ولم يطق ذلك، وقد نطق به القرآن، فالترزم أن الأقسام لا تنعدم، ليطم له الفرق بين النشأة الثانية، وإنما هي على هذا التقرير جمع وتأليف لموجود، وبين

فيقال لهم: قد وبتموها وهي جامدة»⁽⁶⁾ وعنه رضي الله عنه أنه سئل: عن هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورود النخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا نخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إنَّ للنار ضجيجاً من بردها»⁽⁷⁾. وأما قوله تعالى: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾⁽⁸⁾ فالمراد: عن عذابها. وعن ابن مسعود، والحسن، وقتادة، هو: الجواز على الصراط؛ لأنَّ الصراط ممدود عليها، وعن ابن عباس: قد يرد الشيء ولا يدخله، كقوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾⁽⁹⁾ ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله، ولكن قريت منه. وعن مجاهد: ورود المؤمن النار هو: مس الحمى جسده في الدنيا؛ لقوله عليه السلام: «الحمى من فيح جهنم»⁽¹⁰⁾. وفي الحديث: «الحمى حظ كل مؤمن من النار»⁽¹¹⁾. ويجوز أن يراد بالورود: جنوهم حولها، وإن أريد بالكفار خاصة فالمعنى بين: الحتم: مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى به الموجب، كقولهم: خلق الله، وضرب الأمير أي: كان ورودهم واجباً على الله أوجبه على نفسه، وقضى به، وعزم على أن لا يكون غيره.

مَنْ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴿٧٦﴾.

قرئ: ﴿ننجي﴾ وننجي وينجي وينجي على ما لم يسم فاعله: إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر، وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى: ثم ننجي ﴿الذين اتقوا﴾ إنَّ المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواربونهم ثم يتخلصون، وفي قراءة ابن مسعود، وابن عباس، والجحدي، وابن أبي ليلى: ثم ننجي بفتح الناء أي: وقوله ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ دليل على أن المراد بالورود: الجنو حواليتها، وأن المؤمنين يفرقون الكفرة إلى الجنة بعد تجاثيهم، وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين.

وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ، أَيُّنَا يَنْتَبِهِي قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَبِيًّا ﴿٧٦﴾.

﴿بينات﴾ مرتلات الألفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد إما محكمات أو متشابهات، قد تبعها البيان

الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً⁽¹⁾ يريد ممتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم، أو أراد ﴿بالذين هم أولى بها صلياً﴾ المنتزعين كما هم كانه قال: ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء، وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد، ويجوز أن يريد: بأشدهم عتياً رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالاً ومضلين قال الله تعالى: ﴿الذين كفروا وصنوا عن سبيل الله زناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسون﴾⁽²⁾ ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾⁽³⁾ واختلف في إعراب ﴿أيهم أشد﴾ فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقدير: لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد، وسيبويه: على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب، وقيل: أيهم هو أشد، ويجوز أن يكون النزاع واقعاً على من كل شعبة، كقوله سبحانه: ﴿وهيأنا لهم من رحمتنا﴾⁽⁴⁾ أي: لتنزعن بعض كل شعبة، فكان قائلًا قال: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتياً، وأيهم أشد النصب. عن طلحة بن مصرف، وعن معاذ ابن مسلم الهراء أستاذ الفراء.

فإن قُلْتُ: بم يتعلق على الباء فإنَّ تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه؟ قُلْتُ: هما: للبيان لا للصلة، أو يتعلقان بأفعل أي: عتوهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار، كقولهم: هو أشد على خصمه، وهو: أولى بكذا.

وَإِنْ يَنْكُرْ لَّا وَرَدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتًّا مَقْضِيًّا ﴿٧٦﴾.

﴿وإن منكم﴾⁽⁵⁾ التفتات إلى الإنسان يعضده قراءة ابن عباس، وعكرمة رضي الله عنهما: وإن منهم، أو خطاب للناس من غير التفتات إلى المذكور، فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود: دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنه يردونها كأنها إهالة، وروي: نواية: وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «إذا نخل أهل الجنة الجنة، قال بعضهم لبعض: ليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟

= في أن دار المؤمنين الجنة ودار الكافرين النار، (الحديث رقم: 370) والحاكم في المستدرک 4/587.

(8) سورة الأنبياء، الآية: 101.

(9) سورة القصص، الآية: 23.

(10) رواه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب صفة النار (الحديث رقم: 3263) ومسلم في كتاب: السلام، باب: لكل داء نواء (الحديث رقم: 5769).

(11) كشف الاستار، كتاب: الجنائز، باب: حظ ذنوب المريض، (الحديث رقم: 760) وابن ماجه: في كتاب: الطب باب: الحمى (الحديث رقم: 3470) والحاكم في المستدرک 1/345، وأحمد في مسنده 5/252.

(1) سورة الأنعام، الآية: 159.

(2) سورة النحل، الآية: 88.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 13.

(4) سورة مريم، الآية: 50.

(5) قال أحمد: احتمال الالتفات مفرغ على إرادة العموم من الأول، فيكون المخاطبون أولاً هم المخاطبين ثانياً، إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة، والثاني بلفظ الحضور، وأما إذا بيننا على أن الأول، إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعاً، فالثاني ليس التفتاتاً، وإنما هو عدول إلى خطاب العامة عن خطاب خاص، لقوم معينين، والله أعلم.

(6) قال الزبيعي: غريب ولم أجده إلا من قول خالد بن معدان 2/332.

(7) رواه أحمد في مسنده 3/429، والبيهقي في شعب الإيمان، باب: =

بالمحكمات، أو بتبيين الرسول قولاً أو فعلاً أو ظاهرات الإعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها، أو حججاً وبراهين، والوجه: أن تكون حلاً مؤكدة كقوله تعالى ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾⁽¹⁾ لَأَنَّ آيَاتِ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا وَاضِحَةً وَحَجْبًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفرون به لأجلهم وفي معانهم كقوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾⁽²⁾. قرأ ابن كثير ﴿مَقَامًا﴾ بالضم وهو: موضع الإقامة والمنزل، والباقيون بالفتح وهو: موضع القيام، والمراد المكان والموضع، والندى: المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى: أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا، وذلك مبلغهم من العلم، قالوا: أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاهدين لها أوفر حظًا من الدنيا، حتى يجعل ذلك عيارًا على الفضل والنقص والرفعة والضعف. ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة، ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم.

وَكَرَّ أَمْنَكَا قَلْبَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَا وَرَبِّيَا ﴿٧٦﴾

﴿كَمْ﴾ مفعول ﴿أهلكننا﴾ و﴿من﴾ تبيين لإبهامها أي: كثيرًا من القرون أهلكننا، وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم؛ لأنهم يتقدمونهم و﴿هم أحسن﴾ في محل النصب صفة لكم، ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية. الأثاث متاع البيت، وقيل: هو ما جد من الفرش، والخرثى: ما لبس منها، وأنشد الحسن بن علي الطوسي:

تقدم السهد من أم الوليد بنا دهرًا وصار أثاث البيت خرثيا
قري: على خمسة أوجه ﴿رثيا﴾ وهو: المنظر والهيئة فعل بمعنى: مفعول من رأيت، ورثيا: على القلب كقولهم: راء في رأي، ورثيا: على قلب الهمزة ياء والإدغام، أو من الري الذي هو النعمة والترفة من قولهم: ريان من النعيم، ورثيا: على حذف الهمزة رأسًا ووجهه: أن يخفف المقلوب وهو: رثيا بحذف همزته وإلقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها، رثيا: واشتقاقه من الرثي وهو الجمع؛ لأن الرثي محاسن مجموعة، والمعنى: أحسن من هؤلاء.

قُلْ مَرَّ كَأَن فِي السَّلْتَلَةِ قَيْدٌ لَهُ أَرْحَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ
إِنَّا الْمَدَابِقُ وَإِنَّا السَّاعَةُ سَمِعَلَمُونَ مَرَّ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا
﴿٧٧﴾

أي مد له الرحمن يعني: أهله وأملى له في العمر فأخرج على لفظ الأمر إيدانًا بوجوب ذلك، وأنه مفعول لا

فإن قُلْتُ: ﴿حتى﴾ هذه ما هي؟ قُلْتُ: هي التي تحكي بعدها الجمل. ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله: ﴿إذا أراوا ما يوعدون﴾ ﴿فسيعلمون من هو شر مكانًا وأضعف جندًا﴾ في مقابلة ﴿خير مقامًا وأحسن نديًا﴾⁽⁴⁾ لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم، والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعاونهم، وأنصارهم، والجند هم الانصار والأعوان.

وَزَيْدُ اللَّهِ الذَّبِيحُ أَهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلِيغَاتُ الصَّالِحَاتُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

﴿ويزيد﴾ معطوف على موضع فليمدد؛ لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة منه، أو يمد له الرحمن ويزيد أي: يزيد في ضلال الضال بخلافه، ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه ﴿والبليغات الصالحات﴾ أعمال الآخرة كلها، وقيل: الصلوات وقيل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أي: ﴿خير ثوابًا﴾ من مفاخرات الكفار ﴿وخير مردًا﴾ أي: مرجعًا وعاقبة، أو منفعة من قولهم:

ليس لهذا الأمر مردٌ وهل يرد بكاي زندا
فإن قُلْتُ: كيف قيل: خير ثوابًا كان لمفاخراتهم ثوابًا

(4) سورة آل عمران، الآية: 178.

(5) سورة مريم، الآية: 72.

(6) سورة مريم، الآية: 72.

(1) سورة البقرة، الآية: 91.

(2) سورة الاحقاف، الآية: 11.

(3) سورة فاطر، الآية: 37.

حتى يجعل ثواب الصالحات خيراً منه **﴿قلت﴾** كانه قيل: ثوابهم النار على طريقة قوله: فاعتبوا بالصليم، وقوله:

شجعاء جرّتها الزميل تلوكه اصلاً إذا راح المطي غرائنا
وقوله:

تحية بينهم ضرب وجيع

ثم بنى عليه خير ثواباً وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهد من أن يقال له: عقابك النار.

﴿إن قُلْتُ﴾ فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركاً فيه؟ **﴿قُلْتُ﴾** هذا من وجيز كلامهم يقولون: الصيف أحر من الشتاء أي: أبلغ في حره من الشتاء في برده.

أَفَرَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بَيَاتِنًا وَقَالَ لِأَوْتِيكَ مَا لَا رَوْلًا **﴿v﴾** أَطَّلَعَ النَّيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا **﴿v﴾**.

لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحة الخبر عنها، استعملوا آرايت في معنى: أخبر، والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو: التعقيب كانه قال: أيضاً بقصة هذا الكافر وانكر حقيقته عقيب حديث أولئك **﴿اطلع الغيب﴾** من قولهم: أطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية. قال جرير:

لاقيت مطلع الجبال وعوراً

ويقولون: مر مطلعاً لذلك الأمر أي: مالكا له، ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول، أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى غيب الذي توحد به الواحد القهار، والمعنى: أن ما ادعى أن يؤتاه وتآلى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين: وإما علم الغيب، وإما عهد من عالم الغيب، فبأيهما توصل إلى ذلك؟ قرأ حمزة والكسائي: ولداً وهو: جمع ولد كأسد في أسد، أو بمعنى: الولد كالعرب في العرب، وعن يحيى بن يعمر: ولداً بالكسر، وقيل في العهد: كلمة الشهادة، وعن قتادة: هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول؟ وعن الكلبي: هل عهد الله إليه أنه يؤتبه ذلك؟ عن الحسن رحمه الله: نزلت في الوليد بن المغيرة، والمشهور أنها في العاصي بن وائل. قال خباب بن الأثر: كان لي عليه دين فاقترضته فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، **﴿قُلْتُ﴾** لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً ولا حين تبعث. قال: فإني إذا مت بعثت؟ قلت: ثم، قال: إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك، وقيل: صاغ له خباب حلياً فاقترضه الأجر، فقال: أنكم تزعمون تبعثون، وأن في الجنة ذهباً وقضة وحريزاً فانا اقتضيك، ثم فإني أوتي ما لا وولداً حينئذ ⁽¹⁾.

كَلَّا سَكَتُكَ مَا يَقُولُ وَنَمَدُ لَمْ يَنْ أَلْعَذَابِ مَدًّا **﴿v﴾**.

﴿كلا﴾ ردد وتنبه على الخطأ أي: هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليتردد عنه.

﴿إن قُلْتُ﴾ كيف قيل **﴿سكنتك﴾** بسين التسويف، وهو كما قال. كتب من غير تأخير، قال الله تعالى: **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** ⁽²⁾ **﴿قُلْتُ﴾** فيه وجهان: أحدهما: سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله:

إذا ما انتسبنا تلدني لثيمة

أي: تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لثيمة. والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف انتقم منك يعني: انه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأجر، فجرد ههنا لمعنى الوعيد **﴿ونمده له من العذاب مدًّا﴾** أي: تطول له من العذاب ما يستأمله، وتعبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزؤون، أو نزيده من العذاب، ونضاعف له من المدد. يقال: مده وأمده بمعنى، وتدل عليه قراءة علي بن أبي طالب: ونمده بالضم، وأكد ذلك بالمصدر، وذلك من فرط غضب الله، نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه.

وَنَرِيئُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا **﴿v﴾** وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً يَكْفُرُونَ لَهُمْ عَرًّا **﴿v﴾**.

﴿ونريئه ما يقول﴾ أي: نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة، ونعطيهِ من يستحقه، والمعنى: مسمى ما يقول ومعنى ما يقول: وهو المال والولد. يقول الرجل: أنا أملك كذا، فتقول له: ولي فوق ما تقول. ويحتمل أنه قد تمنى وطمح أن يؤتبه الله في الدنيا ما لا وولداً وبلغت به اشعبيته أن تآلى على ذلك في قوله: **﴿لاوتين﴾** ⁽³⁾ لأنه جواب قسم مضمّر ومن يتآل على الله يكتبه، فيقول الله عز وجل هب أنا اعطيناه ما اشتهاه إما نرئه منه في العاقبة **﴿ويأتينا فردًا﴾** غداً بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل: **﴿ولقد جئتمونا فرداً﴾** ⁽⁴⁾ الآية فما يجدي عليه تمنيه وتآليه، ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حياً فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله، ويأتينا رافضاً له منفرداً عنه غير قائل له، أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيّره به **﴿ويأتينا﴾** على فقره ومسكنه **﴿فردًا﴾** من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته ممتناه، فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله. وفقد المطموع فيه **﴿فردًا﴾** على الوجه الأول حال مقدرة نحو: **﴿فانخلوها خالدين﴾** ⁽⁵⁾ لأنه وغيره سواء في إتيانه فرداً حين يأتي، ثم يتفاوتون بعد ذلك أي: ليتعزوا بألهمتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصاراً ينقذونهم من العذاب.

(2) سورة ق، الآية: 18.

(3) سورة مريم، الآية: 77.

(4) سورة الأنعام، الآية: 94.

(5) سورة الزمر، الآية: 73.

(1) رواه البخاري في كتاب: التفسير من سورة مريم، باب: وأقرايت الذي كفر بآياتنا... (الحديث رقم: 4732) وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح (الحديث رقم: 6993).

وتصميمهم على الكفر، واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه، وإنهما كهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم.

فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ تُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا (٤٤).

عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه أي: لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الأرض بقطع دابرهم، فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة، كأنها في سرعة نقضيها الساعة التي تعد فيها لوعدت، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَأْتُونَكَ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْفُ بَعْثِكَ وَمَا يُغْنِي عَنْكَ كَيْفُ بَعْثِكَ﴾ (٤٥) وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان إذا قرأها بكى، وقال: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخول قبرك، وعن ابن السماك: أنه كان عند المأمون فقراها: فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد.

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ (٤٥) وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِزْقًا (٤٦).

نصب ﴿يوم﴾ بمضمرة أي: يوم ﴿نحشُر﴾ ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف، أو أنكروا يوم نحشر، ويجوز أن ينتصب بلا يملكون. ذكر المتقون بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غفرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته، كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين للكرامة عندهم، وعن علي رضي الله عنه: ما يحشرون الله على أرجلهم، ولكنهم على نوق رجالها ذهب، وعلى نجائب سروجها ياقوت (٧). ونكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء. والورد لعطاش؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش، وحقيقة الورد المسير إلى الماء قال:

ردي ردي ورد قطاة صما كدرية أعجبها برد الماء
فسمى به الواردون، وقرأ الحسن: يحشر المتقون ويساق المجرمون.

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنَ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٤٧).

الواو (٨) في ﴿لا يملكون﴾ إن جعل ضميراً فهو للعباد

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبِعَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٤٨).

﴿كلا﴾ ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة، وقرأ ابن نهيك: كلا ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ أن سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك: زيدا مررت بغلامه، وفي محتسب ابن جني: كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه: كل هذا الرأي والاعتقاد كلا، ولقائل أن يقول: إن صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها ألفها نوياً كما في ﴿قواريرا﴾ (١) والضمير في سيكفرون للآلهة أي: سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون: والله ما عبدتمونا، وأنتم كاذبون. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبُّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٢) أو المشركين أي: ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٣)﴾ عليهم ضداً في مقابلة ﴿لهم عزاً﴾ (٤) والمراد: ضد العز وهو الذل والهوان أي: يكونون عليهم ضداً لما قصدوه وإرابوه، كأنه قيل: ويكونون عليهم ذلاً لا لهم عزاً، أو يكونون عليهم عوناً، وال ضد العون يقال: من أضدناكم أي: أعوانكم، وكان العون سمي: ضداً؛ لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانتته لك عليه.

فإن قلت: لم وحد؟ قلت: وحد توحيدہ قوله عليه السلام: «وهم يد على من سواهم» (٥). لاتفاق كلمتهم وأنهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم، ومعنى كون الآلهة عوناً عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم؛ ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها، وإن رجعت الواو في سيكفرون ويكونون إلى المشركين، فإن المعنى: ويكونون عليهم أي: أعداءهم ضداً أي: كفره بهم بعد أن كانوا يعبدونها.

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا نُوحِيْلِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْوُهُمْ أَتًا (٤٩).

الان والهز والاستفزاز أخوات، ومعناها: التهيج وشدة الإزعاج أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالسواس والتسويلات والمعنى، خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسراً. والمراد: تعجيب رسول الله ﷺ بعد الآيات التي نكر فيها العناة والمردة من الكفار، وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسول واستهزاؤهم بالدين، من تمايهم في الغي وإفراطهم في العناد

= (الحديث رقم: 153) وهو في المسند 1/155.

(8) قال أحمد: وفي هذا الوجه تعسف، من حيث أنه إذا جعله علامة، لمن فقد كشف معناه، وأصبح بانها متناولة جمعاً، ثم أعاد على لفظها بالإفراد، ضمير اتخذ، فقيه الإعادة على معناه بما يخالف ذلك، وهو مستنكر عندهم؛ لأنه إجمال بعد إيضاح، وذلك تعكيس في طريق البلاغة، وإنما محجتها الواضحة: الإيضاح بعد الإجمال، والواو على إعرابه، وإن لم تكن عائدة على من، إلا أنها كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد له، فتنبه لهذا العقد، فإنه أروج من النقد. وفي عنق الحسناء، يستحسن العقد.

(1) سورة الإنسان، الآيتان: 15 و16.

(2) سورة النحل، الآية: 86.

(3) سورة الأنعام، الآية: 23.

(4) سورة مريم، الآية: 81.

(5) رواه أحمد في مسنده 1/122، وأبو داود في كتاب: الديات، باب: إيقاد المسلم (الحديث رقم: 4530) والنسائي في كتاب: القسامة، باب: سقوط القود من المسلم للكافر. (الحديث رقم: 4745).

(6) سورة الأحقاف، الآية: 35.

(7) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد على المسند ص 359 =

تهد هذا أو مهدودة أو مفعول له أي، لأنها تهد.

فإن قُلْتُ (5): ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال؟ ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات؟ قُلْتُ: فيه وجهان: أحدهما أن الله سبحانه يقول: كنت أعمل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوه بها لولا حلمي وقاري، وإني لا عجل بالعقوبة كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّه كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (6) والثاني: أن يكون استعظماً للكلمة وتهويلاً من فظاعتها وتصويراً لأثرها في الدين وهدمها لأركانها وقواعده، وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر، وفي قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة، زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا.

أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿١١﴾ وَمَا يَبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَجِدَ وَلَدًا ﴿١٢﴾.

في ﴿أَنْ دَعَا﴾ ثلاثة أوجه: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في منه كقوله:

على حالة لو أن في القوم حاتمًا على وجوده لَضُنَّ بالماء حاتم ومنصوبًا بتقدير سقوط اللام وإفشاء الفعل أي: هذا لأن دعوا، علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد الرحمن، ومرفوعًا بأنه فاعل هذا أي: هد دعاء الولد للرحمن، وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره، من قبل أن أصول النعم وفروعها منه: خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم، كما قال بعضهم: فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه، فمن أضاف إليه ولدًا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن. هو من دعا بمعنى: سمى المتعدي إلى مفعولين فاقترصر على أحدهما الذي هو الثاني طلبًا للعموم والإحاطة بكل ما دعي له ولدًا، أو من دعا بمعنى: نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام: «من ادعى إلى غير مواليه» (7) وقول الشاعر:

إنابني نهشل لا ندعي لأب

ودل عليه نكر المتقين والمجرمين؛ لأنهم على هذه القسمة، ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ؛ لأنه في معنى الجمع، ومحل من اتخذ رفع على البدل، أو على الفاعلية، ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف أي: إلا شفاعته من اتخذ، والمراد: لا يملكون أن يشفع لهم.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿١٨﴾.

واتخاذ العهد الاستظهار بالإيمان والعمل، وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدًا؟» قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يقول كل صباح ومساء: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك بأنني أشهد أن لا إله إلا أنت وحده لا شريك لك، وأن محمدًا عبدك ورسولك، وأنك إن تكلمني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدي من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فأجعل لي عندك عهدًا توفيته يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة» (1)، وقيل: كلمة الشهادة، أو يكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمر به أي: لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المانون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (2) ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (3) ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (4).

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿١٨﴾.

قرئ: ﴿إِذَا﴾ بالكسر والفتح. قال ابن خالويه: الإذ والاد: العجب، وقيل: العظيم المنكر، والإذة: الشدة، وأذني الأمر وأذني أثقلني وعظم علي إذا.

نَكَادُ السَّمَكْرَتُ يَنْفَطِرُ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَجِرُّ لِيَبَالُ هَذَا ﴿١٩﴾.

﴿يكاد﴾ قراءة الكسائي، ونافع بالياء. وقرئ: ﴿ينفطرون﴾ الانفطار من فطره إذا شقه، والتفطر من فطره إذا شقه، وكرر الفعل فيه، وقرأ ابن مسعود: ينصدعن أي:

= له آية تدل على أنه واحد، فالمتعقد نسبة الولد إلى الله تعالى، قد عطل دلالة هذه الموجودات، على تنزيه الله وتقديسه، فاستعير لإبطال ما فيها من روح الدلالة، التي خلقت لأجلها إبطال صورها بالهد، والانفطار، والانشقاق، فسبحان من قسم عباده، فجعل العباد تستلذ، فتسبح بتسبيح داود، يكاد ينهد لمقاله من هو عن باب التوفيق، مطرود مردود.

(6) سورة فاطر، الآية: 41.

(7) رواه مسلم في صحيحه، بلفظ من «ادعى» كتاب الحج، باب: فضل المدينة... (الحديث 3314).

(1) رواه الحاكم في المستدرک 377/2.

(2) سورة النجم، الآية: 26.

(3) سورة سبأ، الآية: 23.

(4) سورة طه، الآية: 109.

(5) قال أحمد: ويظهر لي وراءها معنى آخر، والله أعلم، وذلك أن الله تعالى قد استعار، لدلالاتها على وجوده عز وجل، موصوفاً بصفات الكمال الواجبة له، أن جعلها تسبح بحمده، قال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يسبِّحُ بحمده﴾، ومما دلت عليه السموات والأرض والجبال بل وكل نزة من ذراتها، أن الله تعالى مقدس عن نسبة الولد إليه، وفي كل شيء =

المؤمنون حينئذٍ مقفوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك إذا دجا الإسلام، وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحبهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم. وروي أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة»⁽²⁾. فأنزل الله هذه الآية، وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني: يحبهم الله ويحبهم إلى خلقه، وعن رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: «يا جبريل قد أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يضع له المحبة في أهل الأرض»⁽³⁾. وعن قتادة: ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه.

إِنَّمَا يَسْتَرْكِبُ بِسَلْطَنِكَ يُخَيَّرَ بِهِ الْمُتَّيَبَاتِ وَتُؤَدَّرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا
(١٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَل يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ سَمِعَ لَهُمْ رِكْرًا (١٨).

هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال: بلغ هذا المنزل، أو بشره، وأنذر فإنما أنزلناه ﴿بلسانك﴾ أي: بلغتك وهو: اللسان العربي المبين وسهلهناه وفصلناه ﴿لتبشر به﴾ وتندر.

واللد: الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لئيد أي: في كل شق من المرء والجدال لفرط لجاجهم يريد: أهل مكة. وقوله ﴿وكم أهلكناه﴾ تخويف لهم. وإنذار. وقرئ: ﴿تحس﴾ من حسه إذا شعر به، ومنه: الحواس والمحسوسات. وقرأ حنظلة ﴿تسمع﴾ مضارع أسمعت. والركز: الصوت الخفي، ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض، والركاز المال المدفون.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به، ويحيى، ومريم، وعيسى، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وموسى، وهرون، وإسماعيل، وإدريس، وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا، وبعدد من لم يدع الله»⁽⁴⁾.

أي: لا ننتسب إليه. أنبغي مطاوع بغي: إذا طلب أي: ما يتأنى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلاً؛ لأنه محال غير داخل تحت الصحة، أما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها، وأما التبني فلا يكون إلا فيما هو من جنس المتبني وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

إِن كُئِلْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا فِي الرَّحْمَنِ عَدَا (١٦) لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (١٧) وَكُلُّهُمْ مَّائِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْنًا (١٨).

﴿من﴾ موصوفة؛ لأنها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله:

رب من انضجت غيظاً صدره

وقرأ ابن مسعود وأبو حوية ﴿آت الرحمن﴾ على أصله قبل الإضافة. الإحصاء الحصر والضبط يعني: حصرهم بعلمه وأحاط بهم ﴿وعدهم عدداً﴾ الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كافرين: أحدهم: القول بأن الرحمن يصح أن يكون والدًا، والثاني: إشراك الذين زعموه الله أولاداً في عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لأبائهم، فهدم الله الكفر الأول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر، والمعنى: ما من معبود لهم في السموات والأرض من الملائكة ومن الناس إلا وهو يأتي بالرحمن أي: تأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً متقادماً طبعاً خاشعاً خاشعاً راجياً كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم، لا يدعي نفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال، ونحوه قوله تعالى: ﴿اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾⁽¹⁾ وكلهم منقلبون في ملكوته مقهورون بقره وهو مهيم عليهم محيط بهم، ويجمل أمورهم وتفصيلها وكيفيتهم وكميتهم، لا يفوته شيء من أحوالهم، وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم براء منهم. قرأ جناح بن حبيش.

إِنَّ زَيْنَ أَمَتًا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَكُمْ الرَّحْمَنَ رُوًّا
(١٩).

﴿ونا﴾ بالكسر والمعنى: سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي تجب الود ويكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك، وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصاً منه لأولياته بكرامة خاصة كما كذب في قلوب أعدائهم الرعب والهيبه أعظماً لهم وإجلالاً لمكانهم. والسين إما لأن السورة مكية وكان

(1) سورة الإسراء، الآية: 57. = رقم: (3209) ومسلم في كتاب: البر والصلة باب: إذا أحب الله عبداً، (الحديث رقم: 6647).

(2) نكرة الثعلبي في تفسيره. (الزليعي 2/341).

(3) روى البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: نكر الملائكة (الحديث = (4) نكرة الثعلبي في تفسيره (الزليعي 2/343).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة طه مكية

طه ①.

﴿طه﴾ أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها، وأمال الهاء، وفخمها ابن كثير، وابن عامر على الأصل، والباقون أما لوهما، وعن الحسن رضي الله عنه: طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي ﷺ كان يقوم في تهجدته على إحدى رجليه، فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه. معاً، وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء⁽¹⁾، أو قلبت ألفاً في يطأ فيمن قال: لا هناك المرتع، ثم بني عليه الأمر، والهاء للسكت، ويجوز أن يكتب في بشرطي الأسمين، وهما الدالان بلفظهما على المسميين، والله أعلم بصحة ما يقال: إن طاهاً في لغة عك في معنى: يا رجل، ولعل عك تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم قلبون الياء طاء فقالوا في ياطأ واختصروا هذا فافتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفي في البيت المستشهد به:

إن السفاهة طاهاً في خلائكم لا نفس الله أخلاق الملاعين
والاقوال الثلاثة في الفواتح أعني التي قدمتها في أول
الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الألباء
المقنون.

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ① إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَحْشَى ②.

﴿ما أنزلنا﴾ إن جعلت طه تعديد الأسماء الحروف على الوجه السابق نكره فهو ابتداء كلام، وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها وهي في موضع المبتدأ و﴿القرآن﴾ ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن، وأن يكون جواباً لها وهي قسم، وقرئ: ما نزل عليك القرآن ﴿لتشقى﴾ لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا بكقوله تعالى: ﴿لعلك باخع نفسك﴾⁽²⁾ والشقاء يجيء في معنى: التعب، ومنه المثل: أشقى من رائض مهر، أي: ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة، وقيل: إن أبا جهل والنضر بن

الحرث قالوا له: إنك شقي لأنك تركت دين آبائك، فأريد رد ذلك: بأن بين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في برك كل سعادة، وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها، وروي: أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى أسمغنت قدماه، فقال له جبريل عليه السلام: أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً⁽³⁾، أي: ما أنزلناه لتتهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة، وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة، وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام؛ لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاته شريطة الانتصاب على المفعولية، والثاني: جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشروط.

فإن قلت: أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله تعالى: ﴿أن تحبط أعمالكم﴾⁽⁴⁾ قلت: بلى ولكنها نصبه طارئة كالنصبه في: ﴿واختار موسى قومه﴾⁽⁵⁾ وأما النصبه في تذكرة فهي كالتي في: ضربت زيداً؛ لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها.

فإن قلت: هل يجوز أن يكون ﴿تذكرة﴾ بدلاً من محل ﴿لتشقى﴾؟ قلت: لا لاختلاف الجنسيتين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلا فيه بمعنى: لكن، ويحتمل أن يكون المعنى⁽⁶⁾: إنا أنزلناه عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقابلتهم، وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة، وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة على هذا الوجه، يجوز أن يكون تذكرة حالاً ومفعولاً له ﴿لمن يخشى﴾ لمن يؤول أمره إلى الخشية، ولمن يعلم الله منه أنه يبذل بالكفر إيماناً وبالقسوة خشية.

تَنْزِيلًا مِّنَ حَلْقِ الْأَرْضِ وَأَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ ①.

في نصب ﴿تنزيلاً﴾ وجوه أن يكون بدلاً من تذكرة إذا جعل حالاً لا إذا كان مفعولاً له؛ لأن الشيء لا يعمل بنفسه، وأن ينصب بنزل مضمراً، وأن ينصب بأنزلنا؛ لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة، أنزلناه تذكرة، وأن ينصب على المدح والاختصاص، وأن ينصب بيخشى مفعولاً به أي: أنزل الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بين، وقرئ: تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف. ما بعد تنزيلاً إلى قوله: ﴿له الأسماء الحسنى﴾⁽⁷⁾ تعظيم

= للصيورة مثلاً، ولم يكن فيه ما جرت عادة الله تعالى به مع نبيه ﷺ من نهي عن الشقاء والحزن عليهم، وضيق الصدر بهم، وكان مضمون هذه الآية متبايناً عن قوله تعالى: ﴿فلا يكن في صدرك حرج﴾ ﴿فلملك باخع نفسك على آثارهم﴾ ﴿لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ وأمثاله كثيرة، فالظاهر، والله أعلم، هو التاويل الأول.

(7) سورة طه، الآية: 8.

(1) كشف الأستار، كتاب: التفسير، باب: سورة طه (الحديث رقم: 2232)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب: في حب النبي ﷺ. فصل في براهته ﷺ في النبوة (الحديث رقم: 1497).

(2) سورة الكهف، الآية: 6.

(3) رواه البيهقي في كتاب: الدعوات الكبير، (الزيلعي 2/348).

(4) سورة الحجرات، الآية: 2.

(5) سورة الأعراف، الآية: 155.

(6) قال أحمد: وفي هذا الوجه الثاني بعد، فإن فيه إثبات كون الشقاء سبباً في نزوله، عكس الأول، وإن لم تكن اللام سببية، فكانت =